[الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ مِيلَادِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى بِعْثَتِهِ] الجمعة الأولى

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْنَا خَيْرَ كُتُبِهِ، وَبَعَثَ فِينَا أَفْضَلَ رُسُلِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَدَانَا إِلَيْهِ بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمُ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا، وَأَعْظَمُهُمْ أَمَانَةً وَصِدْقًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَا تَجَمَّلَتِ الْحَيَاةُ وَطَابَتْ بِعَبِيرِ سِيرَتِهِ وَكَرِيمِ هَدْيِهِ وَحَالِهِ، وَمَا تَعَطَّرَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِذِكْرِ جَمِيلِ شَمَائِلِهِ وَحَمِيدِ خِصَالِهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْمُطَهَّرِينَ بِنَسَبِهِ وَنِسْبَتِهِ، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ، إِلَى يَوْمِ الْوُرُودِ عَلَى حَوْضِهِ وَنَيْلِ شَفَاعَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ

فَإِنَّ غَايَةَ مَا تَسْمُو إِلَيْهِ (خُطَّبة الجمعة) هُوَ تَوْجِيهُ النَّاسِ إِلَى الِاقْتِبَاسِ مِنْ هَدْيِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالِاغْتِرَافِ مِنْ مَعِينِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الوَحْيَيْنِ كِتَابًا وَسُنَّةً؛ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ حَتَّى تَعِيشَ حَيَاةً طَيِّبَةً كَمَا وَعَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، بِشَرْطَيِ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الِامْتِنَانِ وَالْإِكْرَامِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ بِعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى هِيَ رَفْعُ الْحَرَجِ وَالْعَنَتِ عَنِ النَّاسِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ الَّتِي بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَجْلِ بَثِّهَا وَنَشْرِهَا فِي الدُّنْيَا، وَجَنْيِ ثِمَارِهَا وَجَزَائِهَا بِنَيْلِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَهَذَا مَا يَسْعَى إِلَيْهِ خطباء الجوامع مِنْ مَقَامِ مَسْؤُولِيَّتِهِمْ، وَأَدَائِهِمْ لِلْوَاجِبِ الْمَنُوطِ بِهِمْ بِاعْتِبَارِهِمْ وَرَثَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأُمَنَاءَ الْأُمَّةِ فِي الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ الرَّسُولِ ﷺ؛ مِنْ تِلَاوَةِ الْآيَاتِ، وَتَزْكِيَةِ الْأَنْفُسِ، وَتَعْلِيمِ أَحْكَامِ الدِّينِ مِنْ خِلَالِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنَ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وخطبة الجمعة مُنَاسَبَةٌ لِاسْتِجْلَاءِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، مِنْ خِلَالِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَطِرَةِ، وَالتَّمَلِّي بِالشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ النَّدِيَّةِ، وَتَثْبِيتِ النُّفُوسِ وَالْقُلُوبِ بِدَلَائِلِ النُّبُوَّةِ الْجَلِيَّةِ؛ وَسِيرَةُ النَّبِيِّ ﷺ الْعَطِرَةُ هِيَ الْمَنْجَمُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ، وَالْكَنْزُ الَّذِي لَا يَفْنَى، كُلَّمَا عَادَ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُ يَجِدُ فِيهَا حُلُولًا لِمَشَاكِلِهِ، وَأَدْوِيَةً لِأَمْرَاضِهِ، وَرَاحَةً وَطُمَأْنِينَةً لِنَفْسِهِ؛ وَلْنَكْتَفِ بِمَا يَلِي:

مِيلاَدُ النَّبِيِّ ﷺ مِيلاَدُ أُمَّةٍ، وَمِيلاَدُ رَحْمَةٍ، وَمِيلاَدُ شَرِيعَةٍ كُلُّهَا عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ وَإِنْصَافٌ وَوَفَاءٌ، وَحَيَاءٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ، فَمَا عَلَى الْـمُؤْمِنِ الْـمُحِبِّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا الِاتِّصَافُ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ؛ بِمَا يَجْعَلُهُ قُدْوَةً لِغَيْرِهِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْـمُعَامَلَاتِ.

فَقَدْ ظَهَرَ مَعَ مِيلَادِهِ ﷺ الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ فِي بَيْتِهِ وَبَيْتِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ مُرْضِعَتِهِ، وَمَا صَاحَبَ ذَلِكَ مِنْ خِصْبٍ وَرَغَدِ عَيْشٍ، مِمَّا جَعَلَهَا لَا تَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ ﷺ لَوْلَا الْخَوْفُ عَلَيْهِ، بِسَبَبِ مَا حَدَثَ لَهُ مِنْ مُعْجِزَةِ شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ وَهُوَ فِي دِيَارِ بَنِي سَعْدٍ.

وَهَذَا مَا جَعَلَ النَّاسَ يَرْغَبُونَ فِي صُحْبَتِهِ وَالتِّجَارَةِ مَعَهُ، وَتَنَالُ أُمُّ الْـمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حُظْوَةَ الزَّوَاجِ مِنْهُ ﷺ، لِـمَا رَأَتْهُ مِنَ الْإِرْهَاصَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ؛ وَبِذَلِكَ حَقَّقَ النَّبِيُّ ﷺ حَيَاةً طَيِّبَةً لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ حَتَّى قَبْلَ بِعْثَتِهِ رَسُولًا، وَكَانَ مِثَالًا يُحْتَذَى فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ وَبَلَدِهِ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا كَانُواْ عَلَيْهِ قَبْلَ نُزُولِ نُورِ النُّبُوَّةِ وَرُوحِ الْوَحْيِ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْـمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنَشْرِ الْخَيْرِ وَالْـمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامِ الْـمُرْسَلِينَ وَشَفِيعِ الْأَنَامِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْهُدَى وَبُدُورِ التَّمَامِ.

عِبَادَ اللهِ؛ إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، وَنَشَرَهَا قَبْلَ بِعْثَتِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ؛ كَالصِّدْقِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالْحَيَاءِ، وَالْوَفَاءِ، وَغَيْرِهَا مِنْ جَمِيلِ الشَّمَائِلِ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا ﷺ، حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، فَاسْتَوْدَعواْ عِنْدَهُ أَمَانَاتِهِمْ، وَاطْمَأَنُّواْ إِلَى جَمِيلِ مُعَاشَرَتِهِ وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ.

وَنَسْتَفِيدُ مِنْ نَّهْجِهِ ﷺ أَنَّ الدَّعْوَةَ بِالْحَالِ قَبْلَ الْـمَقَالِ أَفْيَدُ وَأَنْجَعُ، وَأَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي النَّاسِ وَأَنْفَعُ؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنَ اَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾؛ حَيْثُ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى أَحْسَنَ أُسْلُوبٍ لِلتَّبْلِيغِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ وَالْقَوْلَ الطَّيِّبَ.

وَمَنْ تِلْكَ الْـمَظَاهِرِ كَذَلِكَ مَا قَالَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا: (إِنِّي خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)، فَقَالَتْ بِكَلَامِ الْوَاثِقِ بِاللهِ

تَعَالَى: (كَلَا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

وَنَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا الْـمَوْقِفِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مَنْشَغِلًا بِهُمُومِ قَوْمِهِ، حَاضِرًا عِنْدَ نَوَائِبِ الْحَقِّ لِنُصْرَتِهَا، حَامِلًا مَا يَثْقُلُ عَلَى النَّاسِ مِنْ جَلِيلِ الْخِصَالِ؛ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْفَقِيرِ، وَقِرَى الضَّيْفِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَعْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ؛ وَالْجَامِعُ بَيْنَ هَذِهِ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ أَنَّهَا فِي خِدْمَةِ الْغَيْرِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَهَذَا مَا يُحَقِّقُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِلْجَمِيعِ؛ بِنَشْرِ الْـمَحَبَّةِ وَالْأُخُوَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ عَمَّنِ اِقْتَدَى بِالنَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ الْقَوِيمِ.

أَلا فَاتقوا اللهَ،وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ – عِبَادِ اللَّهِ – عَلَى الْهَادِي الْأَمِينِ؛ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَفْضَالِهِ، وَالرِّضَى عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ؛وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ احْفَظْهُ بِحِفْظِ كِتَابِكَ، وَأَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، اَللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ، اَللَّهُمَّ حَسِّنَّا بِأَخْلَاقِ نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْـمُتَّبِعِينَ لِهَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا وَوَالِدِينَا وَآبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَارْزُقْنَا مِنْهُ شَرْبَةً لَا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، آمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.